مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في فلسطين

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

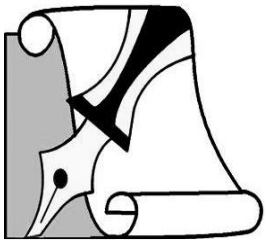

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في فلسطين

أهداف المركز الرئيسية:

1 . إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 . الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 . بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 . إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

طوفان الأقصى.. خداع "حماس" الاستراتيجي وسقوط نظرية الردع الإسرائيلية
العالم يجتمع على إبادة غزة.. ودخولها "فخّ" سيتحوّل إلى تهديد وجودي للكيان

توطئة

ليس من قبيل المبالغة القول إنّ الهزيمة التي تكبّدتها "إسرائيل" يوم 7 تشرين الأول الجاري، خلال الساعات الثماني الأولى من بدء عملية «طوفان الأقصى»، هي الأكبر على الإطلاق في تاريخها، وتشكّل تحوّلاً استراتيجياً بالغ الأهمية على مستوى المنطقة بأكملها؛ وتعني بلا شك أنَّ المشهد الفلسطيني وواقع الصراع قد تغيّرا إلى الأبد.

بل نستطيع القول إنّ عملية «طوفان الأقصى» هي الأولى من نوعها في تاريخ الصراع العربي – الإسرائيلي على الإطلاق. كما أنها الهجوم الأقسى الذي تتعرّض له "إسرائيل" منذ تأسيسها في عام 1948؛ فضلاً عن أنها أضخم عملية يُنفّذها الفلسطينيون ضد الاحتلال في تاريخهم.

ليس هذا فحسب، فالعملية أذهلت وأربكت الحكومة والجيش والأجهزة الأمنية الإسرائيلية؛ وكان يوم 7 أكتوبر، كما يقول ناحوم برنياع، الصحافي الإسرائيلي الشهير، "أسوأ يوم في تاريخ الحروب العسكرية التي خاضتها إسرائيل"، وهدفت "حركة حماس" منها، كما كتب بن كسبيت، إلى الحصول على صورة نصر وعادت بألبوم كامل.

وبالرغم من التهديدات باجتياح غزة، والمحارق اليومية التي ترتكبها "إسرائيل" بحق أهل غزة المحاصرين (حتى كتابة هذه السطور نكتفي بذكر استشهاد أكثر من 300 طفل.. والعدد مرشّح للارتفاع)، وحرب التجويع التي أطلقها وزيرا الحرب والطاقة الصهيونيان؛ إضافة إلى الدعم الأمريكي الذي تعهّدت به واشنطن لإسعاف "إسرائيل" من الخطر الوجودي الذي وجدت نفسها أمامه؛ إلّا أن الكلمة العليا ما زالت للمقاومة التي تخوض مواجهات بطولية، وتنفّذ اقتحامات أسطورية في الداخل الصهيوني.

واللافت هو الدخول الغربي، وخصوصاً من قِبل الولايات المتحدة الأمريكية، على خط المواجهة، في محاولة لإنقاذ كيان الاحتلال المأزوم، حيث اتصل الرئيس الأمريكي جو بايدن، في يوم عملية حماس،

برئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، لعرض الدعم الأمريكي، وليُعلن بعد ذلك أن دعم حكومته لأمن إسرائيل «ثابت ولن يتزعزع»، مُحذّراً «أي طرف آخر معادٍ لإسرائيل".

تبع ذلك إعلان واشنطن تقديم «دعم إضافي» لإسرائيل، وتحريك حاملة الطائرات «جيرالد آر فورد»، مع مجموعة قتالية تقارب 5000 بحّار، وطائرات حربية وطرّادات ومدمّرات. كما أعطت الضوء الأخضر لإسرائيل لاتخاذ «خطوات عسكرية كبيرة» للانتقام من «حماس».

وفي السياق ذاته، أعلن رئيس الوزراء البريطاني، ريشي سوناك، أنه وجّه بنشر قدرات عسكرية بريطانية في شرق المتوسط لدعم "إسرائيل" وتعزيز الاستقرار ومنع التصعيد. وتشمل القدرات العسكرية البريطانية التي ستُنشر في المنطقة، طائرات وسفينتين تابعتين للبحرية وثلاث مروحيات وجنود مشاة بحرية، مضيفاً أن القدرات العسكرية البريطانية "ستكون على أهبّة الاستعداد لتقديم الدعم العملي لإسرائيل والشركاء في المنطقة."

بالمقابل، استغرق الأمر خمسة أيام، منذ حرب الإبادة أو المحرقة الصهيونية ضد غزة، إلى أن قرّر وزراء الخارجية العرب عقد اجتماع طارئ لاتخاذ موقف من التداعيات الرهيبة على الفلسطينيين. وعليه، خرج وزراء الخارجية العرب بقرار رقم 8987، وببيان ختامي باهت ساوى الضحيّة بالجلّاد الصهيوني؛ إذ أدانت الجامعة العربية "قتل المدنيين من الجانبين"، واقترحت على "جميع الأطراف" ضبط النفس. ويُظهر هذا البيان المصاغ بعناية كما لو أن «الجامعة العربية» هي طرف وسيط يتدخل لحل مشكلة بين خصمين متعادلين في القوة، وفي الحق، وفي الشرعية، يقفان على مسافة متساوية من كاتبي البيان.

أما أسوأ ما في الأمر، فهو غياب السلطة الفلسطينية ورئيسها محمود عباس، عن المشهد، وكذلك حركة فتح، واكتفاء المسؤولين الفلسطينيين بالتصريحات والتنديدات كأي حزب بيئي أوروبي، وكأنّ ما يجري من محرقة في غزة لا يعنيهم، أو أنه يحصل في أدغال الأمازون.

ما هي التأثيرات الاستراتيجية لعملية طوفان الأقصى على "إسرائيل"؟

في الواقع، وحتى نُدرك أبعاد ما حدث، وأسباب الهزيمة المخزية لإسرائيل، علينا معرفة التأثير الكبير للأزمة الداخلية العميقة التي تعيشها "إسرائيل" في ظل الحكومة الأكثر تطرفًا، ومساعيها إلى تغيير

"إسرائيل" لتصبح دولة ديكتاتورية حتى بالنسبة إلى اليهود؛ وعلينا معرفة ما كتبه قادة وخبراء وصحافيون إسرائيليون بأن ما جرى هو فشل سياسي واستخباري وعسكري هائل، يدل على هشاشة لم يكن يُتصوّر وجودها في واحد من أقوى وأفضل الجيوش في العالم، ويدلّ على غطرسة القوة. كما يدل على كفاءة المقاتل الفلسطيني وشجاعته وتقدمه، وعلى قدرة قيادية بيّنت قدرات على التخطيط والقيادة، والسيطرة والتحكم، والتمويه والتشويش، وكذلك على الخداع الإستراتيجي والاستخباري.

وحينما نقارن "طوفان الأقصى" بما حدث من معارك وجولات عسكرية وعمليات مقاومة منذ العام 2005 وحتى الآن، يظهر أن "إسرائيل" خسرت خلال 18 عامًا نحو 400 قتيل، بينما سقط في يوم 7 أكتوبر فقط، باعتراف المصادر الإسرائيلية، وحتى كتابة هذه السطور أكثر من 1000 قتيل، وسط تقديرات بأن العدد سيصل إلى 1500 قتيل، والحبل على الجرّار؛ حيث يتم الاعتراف بالقتلى بالتقسيط لتجنّب إحداث صدمة مروعة للإسرائيليين الذين يعيشون في ذهول وإحباط ومأتم جماعي، مع أكثر من 2200 جريح، المئات منهم حالتهم خطرة؛ ووقع في الأسر ما بين 100–150 أسيرًا وأسيرة، من ضمنهم مجنّدات وجنود وضبّاط وقادة، ولا يزال المئات مفقودين.

ومن أجل المقارنة، يُشار إلى سقوط 650 قتيلًا إسرائيليًا في حرب حزيران 1967 التي خاضتها ثلاثة بلدان عربية، والعدد نفسه في الغزو الإسرائيلي للبنان في العام 1982، وأكثر من 1000 قتيل في عمليات تحرير الجنوب اللبناني خلال 18 عامًا. أما في انتفاضة الأقصى، فسقط خلال أربعة أعوام نحو 1100 قتيل إسرائيلي.

وهل أخفقت "إسرائيل" استخباراتياً وأمنياً حقاً؟

تطرح عملية طوفان الأقصى بإلحاح أسئلة عن الإخفاق الأمني الذي قاد إلى تلك الكارثة الإسرائيلية. أما الأسئلة الأهم، فأحدها: هل حقاً تعرف "إسرائيل" هذه المنطقة وطبيعتها وتعقيداتها السياسية والاجتماعية والبشرية بعد سبعة عقود من الوجود والصراع؟

وإذا كانت الحالة الأمريكية قابلة للفهم إلى حدٍ ما بحكم أن التدبير لهجمات 11 أيلول(سبتمبر) والتخطيط جرى في أرض بعيدة جغرافياً عن مسرح التنفيذ، فإن الذي حدث في "إسرائيل" هو إخفاق

استخباراتي صادم فعلاً، ولا عُذر فيه للقائمين على أمن "إسرائيل"، الذين يُفترض أن لا همّ لهم سوى مواجهة حركتي حماس والجهاد.

وفي المحصلة، فقد نجحت "حماس" في التسبّب بتهديد وجودي غير مسبوق لإسرائيل بطريقة تشبه ألعاب الفيديو.

ولكن السؤال الذي يطرح ذاته: كيف نجحت "حماس" في إخفاء عملية استغرقت بالتأكيد شهوراً من التحضير اللوجستي، بمشاركة مئات، وربما آلاف المقاتلين، في مساحة جغرافية صدّق العالم أن "إسرائيل" تُراقب فيها حركة النمل قبل البشر؟

لذا نحن أمام حالة قد تستعصي على خبراء علم النفس الحربي. لكن بالنسبة لإسرائيل، هذا ما حدث على الأرجح. اعتقدوا أنهم عرفوا الفلسطينيين وعرفهم الفلسطينيون؛ هو اعتقاد زائف تراكم مع الزمن بأن المؤسسة الأمنية في "إسرائيل" حفظت "حماس" والفصائل الأخرى عن ظهر قلب بحكم الحروب المتكررة والاحتكاك اليومي مع الناس والتعامل مع السجناء، والجواسيس الإسرائيليين والمخبرين المحليين، والتصريحات السياسية، السريّة منها والعلنيّة، وغير ذلك.

وكلّ هذا انهار في لمح البصر عندما حان الحادي عشر من سبتمبر الإسرائيلي!

بدورها المؤسسة الأمنية والسياسية في "إسرائيل" هي ضحيّة عامل آخر قادها إلى هذه الكارثة. اعتقاد (زائف مرّة أخرى) بأن القضية الفلسطينية انتهت، وبأنها تحوّلت إلى قضية شَغَب داخلي وراءه شبّان مُحبَطون، يكفي التغلّب عليهم بالقمع والسجون. وهذا الاستنتاج نابع من اعتقاد (زائف هو الآخر) بأن الفصائل الفلسطينية معزولة ومنهكة وبلا موارد، وبأن "حماس" وأخواتها في حاجة إلى التهدئة أكثر ما هي "إسرائيل" في حاجة إليها.

هل سقطت نظرية الردع الإسرائيلية؟

إنّ حجم الخسائر الهائل في يوم واحد ليس له مثيل، أدّى إلى سقوط نظرية الردع الإسرائيلية سقوطًا مدوّيًا؛ وهذا يعود إلى الأمور الآتية:

أوّلًا؛ قامت هذه النظرية على الاحتفاظ بزمام المبادرة بالحرب والعدوان، بينما من بادر هذه المرّة هي كتائب المقاومة.

ثانيًا؛ حصْر المعركة في الجبهة الداخلية للعدو، بينما كان ميدان المعركة الرئيسي خلال انطلاق "طوفان الأقصى" في الجبهة الداخلية الإسرائيلية.
ثالثًا؛ التحكّم بنهاية الحرب، وهذا لم نصل إليه. فالحرب ما زالت في بداياتها. **رابعًا؛** حسْم الحرب بأسرع وقت ممكن؛ لأن الحرب الطويلة تُلحق أضرارًا جسيمة بإسرائيل واقتصادها وهيبتها.
خامسًا؛ تحقيق الأهداف المتوخّاة من الحرب؛ وهذا لم ولن يتحقق، بغضّ النظر عن مجريات الحرب ونتائجها؛ لأن ما حدث في يومها الأول، والخسائر الإسرائيلية الهائلة، والإهانة التي لا توصف، سيبقى علامة شاخصة على هزيمة "الجيش الذي لا يُقهر"، وتجسيدًا مُلهمًا لانتصار المقاومة.

وماذا عن إجراءات التجويع والتحشيد لاجتياح غزّة؟

في محاولة لتعويض فشله في أعقاب عملية طوفان الأقصى، أعلن وزير الجيش الإسرائيلي يوآف غالانت، أنه أمر بفرض "حصار مطبق" على قطاع غزة. وقال: "نفرض حصاراً كاملاً على قطاع غزة؛ لا كهرباء، لا طعام، ولا ماء ولا غاز... كل شيء مُغلق؛ عِلماً بأن الدولة العبرية تفرض منذ أكثر منذ 15 عاماً، حصاراً على القطاع الذي يتجاوز عدد سكّانه المليوني نسمة.
بموازاة ذلك، أكّد متحدّث باسم الجيش الإسرائيلي تعبئة نحو 300 ألف فرد احتياط، وهو رقم يشير إلى استعدادات لغزو محتمل، رغم عدم تأكيد أي خطط من هذا القبيل رسمياً. ووصف الجيش عملية الاستدعاء بأنها الأكبر في تاريخ "إسرائيل" خلال فترة زمنية قصيرة.
بالمقابل، حذّرت قيادات عسكرية ومعلّقون في تل أبيب من المخاطر الناجمة عن شن جيش الاحتلال الإسرائيلي عملية بريّة في عمق قطاع غزة". وفي هذا الإطار، أكّد الجنرال ديفيد عبري، الذي سبق له أن شغل منصبي نائب رئيس أركان الجيش وقائد سلاح الطيران الإسرائيلي، أن شن عملية بريّة في قطاع غزة سيكون "فخاً استراتيجياً" لإسرائيل، مُحذّراً من أن "إسرائيل" ستُفاجَأ بعد اقتحام غزة برياً بتفجّر مواجهات في الضفة الغربية ومع "حزب الله".
ونقلت صحيفة "هآرتس" عن "عبري" قوله إن قرار إسرائيل شن عملية بريّة يعني أنها تعمل "وفق الخطة الإيرانية"، لافتاً إلى أنه على الرغم من الخسائر التي تكبّدتها إسرائيل في "طوفان الأقصى"، فإن غزة "لا تمثّل تهديداً وجودياً؛ ويمكن معالجة التهديد الذي تمثّله عبر الغارات الجويّة، ومن خلال

ضغوط اقتصادية. لكن في حال اقتحمنا غزة، فإننا سنقع في المصيدة؛ وهذا سيُفضي إلى تهديد وجودي".

فتنفيذ عملية بريّة في غزة سيكون قراراً صائباً فقط في حال قرّرت إسرائيل البقاء في غزة. لكن لأن إسرائيل لا تنوي البقاء هناك، فإن تأثير هذه العملية لن يتجاوز العقاب فقط؛ وهو ما كان يمكن أن تحقّقه إسرائيل عبر الغارات الجويّة".

والأهم أن جيش الاحتلال سيتكبّد خسائر فادحة خلال تنفيذ العملية البريّة؛ فضلاً عن أنه سيكون من الصعب على القيادة الإسرائيلية تحديد موعد إنهاء العملية والانسحاب.

من ناحيته، شكّك كاتب الرأي، شلومي إلدار، في قدرة جيش الاحتلال على شن عملية بريّة واحتلال غزة. وفي تحليل نشرته "هآرتس"، تساءل إلدار: "هل الجيش الإسرائيلي اليوم قادر على احتلال غزة؟ وهل وحداته، التي تحوّلت إلى مجرّد شرطة لحماية المستوطنين في الضفة الغربية منذ سنين، حصلت على التدريب الكافي بحيث باتت مؤهّلة لاقتحام غزة والدخول إلى أزقّة: جباليا، والشاطئ، وخانيونس والشجاعية؟".

وواصل "إلدار"، الذي عمل لسنوات طويلة مراسلاً في غزة لأكثر من قناة إسرائيلية طرْح أسئلته: "هل إسرائيل النازفة، والتي يعصف بها الألم، جاهزة لتكبّد المزيد من مئات القتلى أو أكثر؟... وما الثمن الذي سندفعه مقابل إعادة احتلال غزة؟ وما الذي سنحصل عليه في المقابل؟".

وأضاف: "مؤلم أن نعترف. فقد كبرنا ونحن نتشرّب أسطورة الجيش الإسرائيلي، جيش الشعب الأقوى من بين جيوش العالم، أو على الأقل من بين جيوش الشرق الأوسط؛ لكن الجيش الإسرائيلي في أكتوبر/ تشرين الأول 2023 هو جيش ضعيف. فقد كان هناك من أراد إضعافه وإفساده وإبعاده عن المعركة الحقيقية...لقد كان هناك من اعتقد أن بالإمكان تحويله إلى قوة شرطة لحماية المستوطنات في الضفة الغربية".

فحركة حماس، بحسب رؤيته، تمتلك آلاف الجنود الذين يمتازون بدافعية أيديولوجية دينية ووطنية...التوق إلى الشهادة يضطرب في صدورهم...حماس ليست مجرّد قيادة عسكرية وسياسية، بل أيضاً أيديولوجية وجوهر، ودين وعقيدة؛ فضلاً عن مئات الآلاف من المؤيّدين المستعدّين للموت دفاعاً عن غزة وفي سبيل الله"، على حدّ تعبيره.

وما هي قصة الفشل الاستخباراتي الإسرائيلي؟

كشفت عملية طوفان الأقصى عن حملة خداع استراتيجي دقيقة نفّذتها حركة حماس وجناحها العسكري في هجومها المدمّر على "إسرائيل"، مما مكّن قوّة تستخدم الجرّافات والطائرات الشراعية والدرّاجات النارية، من التغلّب على أقوى جيش في الشرق الأوسط.

ونقلت وكالة رويترز عن مصدر مقرّب من "حماس" قوله إنه بينما كانت "إسرائيل" تعتقد أنها احتوت على "حماس" التي أنهكتها الحرب، من خلال توفير حوافز اقتصادية للعمّال في غزة، كان مقاتلو الجماعة يتم تدريبهم، وغالباً على مرأى من الجميع، بعدما أعطت الحركة "إسرائيل" انطباعاً بأنها غير مستعدّة للقتال.

وتبعاً لذلك، يقول الرائد نير دينار، المتحدّث باسم قوات الدفاع الإسرائيلية: "هذا هو 11 سبتمبر..لقد تمكّنوا منّا..لقد فاجأونا وجاءوا بسرعة من عدة مواقع – سواء من الجو أو الأرض أو البحر."

وكشف المصدر المقرّب من "حماس" إنه في أحد العناصر الأكثر لفتًا للانتباه في استعداداتها، قامت "حماس" ببناء مستوطنة إسرائيلية وهمية في غزة، حيث تدرّبت على الإنزال العسكري وتدرّبت على اقتحامها، مضيفًا أنهم قاموا حتى بتصوير مقاطع فيديو للمناورات. فمن المؤكّد، بحسب المصدر، أن "إسرائيل" رأتهم، لكنهم كانوا مقتنعين بأن "حماس" لم تكن حريصة على الدخول في مواجهة.

وفي الوقت نفسه، سعت "حماس" إلى إقناع "إسرائيل" بأنها مهتمّة أكثر بضمان حصول العمّال في غزة على فرص عمل عبر الحدود، وليس لديهم مصلحة في بدء حرب جديدة.

وأكّد المصدر أنّ "حماس" تمكّنت من بناء صورة كاملة بأنها غير مستعدّة لمغامرة عسكرية ضد "إسرائيل". ولهذا قال متحدّث آخر باسم الجيش الإسرائيلي: "اعتقدنا أن حقيقة مجيئهم للعمل وجلْب الأموال إلى غزة ستخلق مستوى معيّن من الهدوء. كنّا مُخطئين".

وفيما اعترف مصدر أمني إسرائيلي بأن "حماس" خدعت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، قال: "لقد جعلونا نعتقد أنهم يريدون المال". وطوال الوقت كانوا يشاركون في التدريبات؛ حتى أنهم قاموا بأعمال شغب.

وماذا عن الامتناع عن الأعمال العسكرية؟

كجزء من حيلتها، امتنعت "حماس" في العامين الماضيين عن القيام بعمليات عسكرية ضد "إسرائيل"، حتى عندما شنّت "الجهاد الإسلامي" سلسلة من الهجمات أو الهجمات الصاروخية الخاصة بها.

وقال المصدر إن ضبط النفس الذي أبْدته "حماس" أثار انتقادات علنية من بعض المؤيّدين، بهدف خلق انطباع بأن "حماس" لديها مخاوف اقتصادية، وليست حرباً جديدة في ذهنها.

وأشار المصدر أنه في الضفة الغربية، التي يُسيطر عليها الرئيس الفلسطيني محمود عباس وجماعته "فتح"، كان هناك من سخِروا من "حماس" بسبب التزامها الصمت.

من هنا، يوضح مصدر أمني إسرائيلي ثان، أنه كانت هناك فترة اعتقدت فيها "إسرائيل" أن زعيم الحركة في غزة يحيى السنوار كان منشغلاً بإدارة غزة "بدلاً من قتْل اليهود."

وأضاف أنه في الوقت نفسه، حوّلت "إسرائيل" تركيزها بعيدًا عن "حماس"، في الوقت الذي دفعت فيه للتوصل إلى اتفاق لتطبيع العلاقات مع المملكة العربية السعودية.

من جهة ثانية، يشير مصدر فلسطيني مقرّب من "حماس"، إلى أنه لطالما تفاخرت "إسرائيل" بقدرتها على اختراق الجماعات الإسلامية ومراقبتها. ونتيجة لذلك، فإن جزءاً حاسماً من الخطة هو تجنّب التسريبات.

وأضاف المصدر أن العديد من قادة "حماس" لم يكونوا على علمٍ بالخطط. وأثناء التدريب، لم يكن لدى المقاتلين الألف المنتشرين في الهجوم أي فكرة عن الغرض الدقيق من التدريبات.

وكيف تم تقسيم العملية؟

عندما جاء اليوم الموعود، تم تقسيم العملية إلى أربعة أجزاء .الخطوة الأولى تمثّلت في إطلاق وابل من ثلاثة آلاف صاروخ من غزة، تزامنت مع توغّلات قام بها مقاتلون طاروا بطائرات شراعية عبر الحدود.

وأوضح أنه بمجرّد وصول المقاتلين على الطائرات الشراعية إلى الأرض، قاموا بتأمين الأرض حتى تتمكن وحدة كوماندوز من النخبة من اقتحام الجدار الإلكتروني والإسمنتي المحصّن الذي يفصل غزة عن المستوطنات، والذي بنته إسرائيل لمنع التسلّل.

كما استخدم المقاتلون المتفجرات لاختراق الحواجز، ثم عبروها مُسرعين على درّاجات ناريّة، فيما وسّعت الجرّافات الفجوات، ودخل المزيد من المقاتلين بسيّارات رباعيّة الدفع؛ وهي المشاهد التي وصفها الشهود.

والأكثر أهمية أن وحدة كوماندوز هاجمت مقرّ قيادة الجيش الإسرائيلي في جنوب غزة، وشوّشت على اتصالاته، ومنعت الأفراد من الاتصال بالقادة أو ببعضهم البعض.

وأوضح أن الجزء الأخير شمل نقل الرهائن إلى غزة، وهو ما تمّ تحقيقه في الغالب في وقت مبكر من الهجوم.

وقال المصدر الأمني الإسرائيلي إن القوات الإسرائيلية لم تصل إلى كامل قوّتها في الجنوب قرب غزة بسبب إعادة انتشار بعضها في الضفة الغربية لحماية المستوطنين الإسرائيليين، في أعقاب تصاعد أعمال العنف بينهم وبين نشطاء فلسطينيين، موضحاً "إنهم (حماس) استغلّوا ذلك".

وماذا عن السيناريوهات المتوقعة؟

في الحقيقة، قد تتهوّر حكومة بنيامين نتنياهو وتستجيب للنصائح والدعوات والمطالبات المقدّمة من جمهورها المتطرف جدًا، ومن منظّري اليمين، مثل دان شفتان، الذي نصح بتدمير غزة، وعدم تقييد يد الجيش الإسرائيلي جرّاء وجود عدد كبير من الأسرى في يد كتائب القسّام وسرايا القدس، وإلّا سيتكرر ما حدث فلسطينيًا وعربيًا. ويمكن أن يصل هذا السيناريو إلى محاولة إعادة احتلال قطاع غزة.

هذا السيناريو ممكن، ولكن هناك أسباب عدة تحدّ من إمكانية حصوله، وهي:

-أولًا: إن تحقيق الأهداف الموضوعة يستدعي معركة بريّة طويلة، وإعادة احتلال القطاع. وحتى لو حدث ذلك، لن يقضي على المقاومة. والدليل أن قوات الاحتلال لم تنجح في القضاء على المقاومة في مخيّم جنين على الرغم من الاعتداءات المتكررة؛ فكيف ستقضي عليها في قطاع غزة الذي يحوي شبكة هائلة من الأنفاق وعشرات الآلاف من الصواريخ، ومثلها من المقاتلين المدرّبين والمستعدّين؛ إضافة إلى أن الهجوم البري سيُلحق خسائر كبيرة بالقوات الإسرائيلية وفي "إسرائيل"، بشرية ومعنوية، وفي اقتصادها تحديدًا، الذي لا يحتمل حربًا طويلة. ففي اليوم الواحد تخسر "إسرائيل" مليارات

الدولارات؛ ولعلّ انخفاض سعر الشيكل، وخسائر البورصة، ووقف الرحلات من وإلى مطار اللد، مجرّد عيّنات ودلائل على ذلك.

–ثانيًا: إن وصول الحرب إلى حد يلامس تدمير القطاع وإسقاط حكم "حماس" يفتح أبواب دخول حزب الله إلى الحرب؛ فلا يُعقل أن تقوم المقاومة الفلسطينية بطوفان الأقصى من دون أن تكون متّفقة مع حزب الله، على الأقل على فتح الجبهة الشمالية؛ والرسالة التحذيرية المبكرة، المتمثلة في إطلاق قذائف من حزب الله في اليوم الثاني على أهداف إسرائيلية في مزارع شبعا، تدل على احتمال جديّ باشتراك حزب الله إذا مضت "إسرائيل" بعيدًا في حربها على قطاع غزة.

–ثالثًا: إن الإدارة الأميركية، ومعها دول الغرب وحلف الناتو، لا تريد اندلاع حرب إقليمية في الوقت الذي لا تزال الحرب الأوكرانية مشتعلة. فأي حرب جديدة ستصب في صالح روسيا وزعيمها فلاديمير بوتين. ولعلّ تحذيرات بايدن، والحشود العسكرية، وإرسال السفن الحربية وحاملات الطائرات، هي محاولة لمنع اندلاع حرب إقليمية أكثر ممّا هي استدعاء لها.

وما حجم المساعدات الأمريكية العسكرية لإسرائيل؟

كثّفت واشنطن من تحرّكاتها الدبلوماسية والعسكرية في المنطقة، بعدما أيقنت أن "إسرائيل" باتت في وضع حرج، عسكرياً وسياسياً، بعد الضربة الكبيرة التي وجّهتها لها المقاومة في أعقاب عملية طوفان الأقصى، وما تلاها من قصف واقتحامات يومية للمستوطنات الإسرائيلية. ولهذه الغاية وصل وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن، في 12 أيلول الحالي، إلى تل أبيب، في إطار جولة أوسع يقوم بها في الشرق الأوسط، إظهاراً لتضامن واشنطن مع "إسرائيل" بعد عملية "طوفان الأقصى" التي نفّذتها المقاومة الفلسطينية بقيادة حركة حماس.

وليس بعيداً عن ذلك، كشف البنتاغون الأمريكي أنه سيزوّد "إسرائيل" بخليّة من قوات العمليات الخاصة، والتي بدأت بالفعل بمساعدة "إسرائيل" على عمليات الاستخبارات والتخطيط العسكري. ومن الممكن أن تشارك تلك القوات الأمريكية في عمليات تحرير "الرهائن" الإسرائيلية إذا طُلب منها ذلك.

كما تعمل الولايات المتحدة على إقناع شركات الدفاع الأمريكية بتسريع طلبات الأسلحة التي تقدّمت بها "إسرائيل" قبل هجوم "حماس"، وأهمها الحصول على ذخائر لنظام الدفاع الجوي الإسرائيلي "القبّة الحديدية"، بشكل سريع.

كذلك أعلن البنتاغون تحويل مسار حاملة الطائرات جيرالد آر. فورد للإبحار باتجاه "إسرائيل"، بطاقمها المكوّن من حوالي 5000 فرد.

وتوفّر حاملة الطائرات مجموعة من الخيارات العسكرية، كونها تشكّل مركزاً لعمليات القيادة والسيطرة، ويمكنها شن حرب معلومات. كذلك يمكنها إطلاق واستعادة طائرات المراقبة E2-Hawkeye المعروفة برادارها الذي يوفّر نظام إنذار مبكر عند إطلاق الصواريخ المضادة .

وتقوم تلك الطائرات بالمراقبة وإدارة المجال الجوي؛ وهي لا تكتشف طائرات العدو فحسب، بل تقوم أيضاً بتوجيه التحركات الأمريكية، أو في تلك الحالة، الإسرائيلية.

علاوة على ذلك، طلب البنتاغون تجهيز طائرات حربية إضافية لدعم أسراب طائرات A-10 و F-15 و F-16 الموجودة في قواعد في جميع أنحاء الشرق الأوسط لمساعدة "إسرائيل" إذا لزم الأمر.

الخلاصة

هل تستعد "إسرائيل" حقاً لغزو غزة، وفي الوقت نفسه محاربة حزب الله، عندما لا يكون لدى الجنود دروع ومصابيح، كما قال أحد الصحافيين الإسرائيليين من "هآرتس"، ويُدعى أوري مشغاف؟ فيما وحدات احتياط بأكملها تنتشر على الحدود الشمالية، ولم يقم أحد بتجهيز الجنود بملابس مناسبة للظروف الباردة والمناخ؟ وأوضح "مشغاف": إننا أدركنا أن هناك بالفعل الآلاف من الدروع الناقصة، وأن المصنّعين في "إسرائيل" قد نفد مخزونهم. بدأنا البحث عنها في الولايات المتحدة والصين.

وتحدّث "مشغاف" عن النقص في الطعام لجنود الاحتلال ووحدات في القطاعين الجنوبي والشمالي، سائلًا عمّا إذا كان يمكن تزويدها بطعام. وأضاف: اتصلتُ بالمطاعم التي أعرفها، وبدأنا بنقل طعام إلى نقاط التجمع بمساعدة متطوّعين. من وقتٍ لآخر، كنتُ ألقي نظرة خاطفة على ملحقات الأخبار حول المعارك في غلاف غزة، وقوائم القتلى، والصليات الصاروخية، وزحف بيني غانتس المخزي والإجرامي إلى حكومة الإخفاق.

وتحدّث عن العملية ومقوّمات نجاحها، قائلاً: "تلقّيتُ رسالة من أستاذي ومعلّمي، اللواء احتياط دافيد عِفري، أحد أعظم قادة سلاح الجو سابقاً، ونائب رئيس الأركان ومؤسّس مجلس الأمن القومي، قال فيها: بتقديري، نحن نعمل وفق خطة مرسومة لنا. الحادثة المؤلمة الأخيرة ستقود إسرائيل إلى الرد بالدخول إلى غزة؛ وبعد ذلك، عندما نكون متورّطين عميقاً، سيبدأ حزب الله ويهودا والسامرة (الضفة). كتب عِفري في الرسالة.

أضاف: "غزة هي الفخ الذي ندخله. غزة ليست تهديداً وجودياً؛ بل ويمكن التعامل معها من الجو، ومن خلال الضغط الاقتصادي. إذا دخلنا إلى غزة، فإن الفخ يمكن أن يُسبّب تهديداً وجودياً."